المعالم العسكرية والدينية والخدمية في مدينة جُبّة وطرائق توظيفها في السياحة

د. سعدي إبراهيم الدراجي
مركز احياء التراث العلمي العربي - جامعة بغداد

المستخلص

تعنى هذه الدراسة بالابنية التراثية القائمة في جزيرة جبة، بوصفها معرضة للهدم والتغيير الذي يصيبها عادة بفعل التقادم وعوامل الطبيعة والإهمال. فضلا عن التطور العمراني والتوسع المحدود الذي شهدته المدينة في السنوات الأخيرة، والذي تطلب هدم بعض المنشات التراثية بمسوغ تحديثها. مما أستوجب احيانا التخلي عن الطين والحجر كلا أو جزءا والاعتماد على الاسمنت والحديد. ناهيك عن الحروب التي أودت بمعالم لا حصر لها في المنطقة الغربية ويكفي ان نشير هنا الى الجامع العتيق في جُبّة الذي تعرض للتفجير مع مئذنته في ٢٧. ٢. ٢٠١٥م.

لقد حاول الباحث التركيز على الدراسة الميدانية التي شملت تحصينات جزيرة جبة ثم العمارة الدينية المتمثلة بالجامع العتيق ومنارته وضريح السيد حمد، ثم بيوت السكن والنواعير وطواحين الماء، من أجل توثيقها بالمخططات والصور وتوريخها.

الكلمات المفتاحية: المعالم العسكرية، العمارة الدينية، الابنية السكنية، النواعير، جُبّة

Military, religious and service monuments in Juba city and the Ways to employ them in tourism.

Dr.Saadi Ibrahim Al- Darraji
University Of Baghdad - Center of revival heritage
saadiib@yahoo.com

Abstract :

The study deals with the heritage buildings that had been found in Juba land by describing it as an important event can be demolition as a result of nature factors and of its ancient age in addition to the architecture progress and limit expansion that had witnessed through the last years which indicates to modern it by using Cement and iron instead of bricks, it is not to mention as well as mention unlimited wars in Western region that destroy the prominence monuments as the ancient mosque in Juba that had destroyed by explosion in 27 /7/2015 .

The researcher tried to concentrate on the survey study that contained The fortifications of juba city in addition to mention what kind of concern buildings as Neyair and water mills religious and serving built , houses represented by big mosque , minaret of Said

Mohammad whereas the other heritage will document in other researches.

Keywords: military monuments, religious monuments, servils monuments, Juba

المقدمة:

جُبّة من الحواضر العريقة في القدم، نشأت وسط الفرات على جزيرة صغيرة محصنة، تعود على أقل تقدير الى العصر الاشوري. وقد أستمر السكن فيها طلية العصور الساساني والروماني والإسلامي، ولو قدر لهذه الجزيرة أن تشهد تنقيبات أثرية علمية صحيحة لأسفرت في اعتقادي عن نتائج طيبة تؤكد تاريخ الاستيطان في هذه الجزيرة الموغلة في القدم. وأهميتها طبعاً تأتي من موقعها على الطريق البري الذي ينتهي بساحل البحر المتوسط. فضلا عن الطريق النهري الذي يربط بغداد ببلاد الشام.

إن أهمية الدراسة تكمن في توثيق جوانب من المعالجات البيئية والمناخية التي اعتمدها المعمار العراقي في بيوت السكن، إذ إن صغر المساحات في الوحدات البنائية وطريقة تقسيمها من الداخل وثخن الجدران وطبيعة الحجر بوصفه المادة الأساس في البناء، فضلا عن طريقة التسقيف بالخشب. من شأنه أن يجعل من عمائر المنطقة الغربية أمثلة رائعة للتغلب على الظروف المناخية القاسية والتقلبات الجوية التي تفرضها الطبيعة في العراق. لاسيما وان أهل هذه الاصقاع هم أكثر من استغل النخلة بفعالية واستفاد من أجزائها في الحياة اليومية.

ومن فوائد البحث هو تأكيد هوية المعمار العراقي الذي ساهم في تطويع المواد وتوظيفها بقصد تنظيم الطقس داخل الوحدات البنائية بما يلائم طبيعة الإنسان وعيشه في الفصول جميعاً.

لقد سعى الباحث الاعتماد على الدراسة الميدانية في توثيق اثار الجزيرة المتمثلة بالجامع العتيق وضريح السيد حمد والابنية المتصلة بالري والزراعة مثل النواعير أو المرتبطة بالصناعة مثل طواحين الماء، فضلا عن الابنية السكنية من أجل توثيقها بالمخططات والصور وتوريخها بالاعتماد على ما توافر من معلومات من كبار السن في المنطقة.

أهمية مدينة جُبّة وتاريخها:

شغلت ضفتا الفرات والجزر التي تتوسط مجراه مدناً ومستوطنات وقلاع بعضها عريق في القدم تعود الى العصر الاشوري، وبعضها الآخر كانت مراكز على التخوم الساسانية الرومانية. وجميعها تقع على طريق الفرات الاستراتيجي الممتد بين العراق والشام، وجدت بدوافع سياسية وعسكرية وتجارية. ومعظم هذه المدن والحواضر أندثرت وأصبحت اطلالاً ودوارس، والقليل منها مازال مستمرا، انتعش بسبب استقرار العشائر المحيطة بهذه المستوطنات ومزاولتهم الزراعة[1]. لاسيما في عهد مدحت باشا (١٨٦٩ ـ ١٨٧٢م) الذي نشر مبادئ الاصلاح في بعض المجالات الاقتصادية والادارية والعمرانية بصورة فعلية. وقام بتوزيع الاراضي على العشائر بقصد استقرارها والاهتمام بالري والزراعة. فتأسست مدن جديدة مثل الرمادي والناصرية، وأنتعشت أخرى قديمة ومنها مدن الفرات الواقعة على الضفة اليمنى بوصفها محطات على طرق القوافل.

ويكتب الهمداني (ت٥٨٤هـ) جُبَّة بعد الجيم المضمومة باء موحدة مفتوحة مشددة، وهي في عصره من اعمال مدينة السلام، وينسب اليها أبو الحُسين أحمد بن عبد الله[٢]، أما ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ) فيذكر ان جُبّى التي تكتب بالألف المقصورة، هي لفظة أعجمية، تطلق على قرى ومواضع كثيرة، منها قرية من عمل خوزستان، وأخرى في طرف البصرة والاهواز من اعمال البصرة، والاسم نفسه يطلق على قرية من أعمال النهروان. وجُبى أيضاً: قرية من قرى هيت، منها ابو عبد الله بن أبي العز بن جميل المولود بقرية جبى، وفد بغداد صبيا واستوطنها، وتولى فيها أعمال ومناصب حتى وفاته في عام ٦١٦هـ[٣].ويصف أبن عبد الحق البغدادي (تـ ٧٣٩هـ) جُبّه فيقول: جزيرة من جزائر الفرات ببلد هيت[٤]. ويكتبها كما تلفظ اليوم بالتاء المربوطة.

أذن جُبّة من الحواضر العريقة في القدم، نشأت وسط الفرات على جزيرة صغيرة محصنة. لذلك تصنف عند الجغرافيين بأنها من المدن النهرية ذات الموقع الجزري. وأهميتها تاتي من موقعها على الطريق البري المُتخذ في العهد العثماني للسفر الى العاصمة استانبول. فالسفر من بغداد الى بيروت يكون عن طريق ابو غريب ـ الصقلاوية ـ الرمادي ـ هيت ـ جبة ـ حديثة ـ الفحيمي ـ عنة ـ النهية ـ القائم ـ البو كمال ـ الصالحية ـ الميادين ـ الدير ـ تدمر ـ دوما دمشق ـ زحلة ـ بيروت. ثم الابحار الى استانبول[٥]. لذلك انشئت على هذا الطريق، الذي لا يبتعد كثيراًعن الضفة اليمنى لنهر الفرات، سلسلة من الخانات لأستراحة القوافل وتأمينها، ومنها خان بالقرب من جُبّة يعرف بخان البغدادي[٦] نزلت فيه (مس بيل) في اذار عام ١٩١١م وكان الخان حديث البناء عمره آنذاك أربعة أشهر فقط[٧]. وخان آخر في كل من الفلوجة والرمادي وهيت والفحيمي وعنه والقائم. وقد وصفت هذه الخانات التي ازيلت في عصرنا بانها مؤسسات أنشأتها الحكومة العثمانية على شكل حصون انتشرت على طرق المواصلات المهمة بين الشام وبغداد لحماية القوافل المارة من اللصوص وتامين راحتها داخل أسوارها العالية وأبوابها المحكمة بالسلاسل[٨].

كما يوجد طريق اخر اكثر امنا يصل الى الشام عبر الفرات وصفه عبد الباقي الألوسي عام ١٢٩٢هـ / ١٨٧٥م. والسفر كان بوساطة سفن عثمانية تنطلق من الصقلاوية تسمى (وابور)، وهي محدودة السرعة تصل عنة بثمانية ايام. مرورا بالرمادي وهيت وجُبة وألوس وحديثة. وبعد ان تستريح يوما في عنة تنطلق الى الدير ثم قرية مسكنة ومنها برا الى حلب[٩]. وقد أصبح هذا الطريق المعروف منذ القدم اكثر استخداما في القرن التاسع عشر الميلادي من الطرق الاخرى لتوافر الحد الادنى من الامن فيه. وبفضل تطور صناعة السفن واستقرار خطوط الملاحة، وتنامي سلطات المدن في العراق في هذه الحقبة[١٠].

ان اقدم من وصف جبة من الرحالة الاجانب هو الهولندي الدكتور ليونهارت راوولف في عام ١٥٧٣ وقال عنها بأنها مدينة حسنة البناء، يقسمها النهر على قسمين، يقوم القسم الاول على أرض مرتفعة محمية بحصن. ويقصد بذلك المدينة القديمة التي مازالت تشغل الجزيرة الممتدة وسط النهر. أما القسم الثاني فيشغل الشاطئ الأيسر ويضم بساتين كثيرة يملكها اولئك الذين يقطنون الجزيرة. وقد وصف الرحالة البساتين بأنها غنية بالنخيل والأشجار المثمرة، اذ استطاع اصحابه شراء ما طلبوا من التمر والتين واللوز، ويذكر الرحالة ان الحصول على تلك الفواكه كان بالمقايضة ببعض السلع واللوازم ومنها قوالب الصابون

والسكاكين وصحائف من الورق الابيض وغيرها من البضائع الأخرى التي يحتاجها السكان[١١].

وزار جبة في وقت مبكر رحالة أخر هو الايطالي كاسبرو بالبي وذلك في مطلع عام ١٥٨٠ وذكر بأنها تقع في الساحل الايسر من النهر، وتحيط بها المياه من كل جانب. وهي محصنة بقلعتين. وبيوتها جميلة مشيدة على الطريقة العربية، وحقولها خصبة، وثمارها وافرة. ويدفع المسافرون فيها لامين البلدة مكس بمقدار (شاهيين)([١٢]) عن كل مركب، وست قطع صابون، فضلا عن صحن من الزبيب. ويبدو ان رحالتنا لم تتيح له الظروف التجوال في جبة والوقوف على معالمها، فما كاد أن يدفع الضريبة المفروضة على المراكب حتى أكمل مع رفاقه السفر منحدرا نحو الجنوب وهو يمتع ناظريه ببساتين النخيل والبرتقال. وفي أثناء مغادرته شاهد على يساره جامع جُبّة وقال عنه: "مسجد (شيخ جبة) الذي له في نفوس السكان مكانة عظيمة وإجلال كبير".[١٣]

لقد وصف جبة وبيوتها الرحالة كلارك (Clark)، وذلك في مطلع عام ١٨٨٩م، وكان قادما مع قافلة من سوريا يريد بغداد، وقال بانها تشبه ألوس وحديثة، وقد لفت انتباهه كثرة النخيل الباسقة على بيوتها المبنية بالطين، والتي أضفت على الجزيرة نوعا من الجمال والرومانسية. وقد وثق كلارك ــ الذي قضى ليلة شتاء باردة في البغدادي ــ معلومات مهمة عن المنطقة أستقاها من السكان المحليين ومنها على سبيل المثال؛ فيضان عام ١٨٨٨م. كما اشار الرحالة الى بقايا تحصينات جبة القديمة وهو يعتقد بانها تعود الى العصر الساساني[١٤].

ويبدو ان جُبّة لم تكن في نظر العثمانيين سوى ناحية نائية على ضفاف الفرات ووسطه، لذلك ظلت مهملة طيلة الوقت ولم يكن فيها مركز اداري يسهم في تطورها كما هو الحال في الرمادي والفلوجة. فالسالنامات العثمانية الصادرة في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي التي هي بمثابة التقويم السنوي للدولة، تؤكد أن الحديثة وألوس وجُبّة نواحي تشترك بأدارة واحدة يديرها في عام ١٢٩٤هـ / ١٨٧٧م مدير يدعى أمين بيك، وهي تابعة الى قضاء عنه المرتبط بسنجق بغداد[١٥]. وبعد سنوات قليلة تغير ألامر، فأصبحت حديثة ناحية مستقلة لها مدير وكاتب في حين بقيت آلوس وجُبة ناحية بإدارة مشتركة يديرها شخص يدعى محمد اغا[١٦]. تابعة الى قضاء عنه طبعا، وإدارة القضاء تتألف من القائمقام ونائبه ومدير المال وكاتب التحريرات، وأمين الصندوق، والمفتي. وفي قضاء عنه مجلس إدارة يتألف من أربعة موظفين ومعهم أربعة اعضاء من الأهالي منتخبين، وفيها دائرة بلدية[١٧].

وعلى الرغم من التطور الذي شهدته التقسيمات الإدارية لمدن العراق أثناء الحكم الملكي، إلا ان بعض مدن الفرات أخذت بالتراجع ومنها جُبّة التي أصبحت قرية تابعة إلى ناحية حديثة المرتبطة أداريا مع ناحية القائم بقضاء عنه[١٨].

موقع جزيرة جبة وتخطيطها:

تقع جزيرة جُبّة النهرية على خط طول (٤٢ درجة و ٣٢ دقيقة شرقاً) يمر بوسطها من الشمال الى الجنوب فيقسم الجزيرة على قسمين شرقي وغربي، والقسم الشرقي اكثر عرضا وعمرانا من القسم الغربي، في حين تنصف دائرة العرض الجزيرة (٣٣ درجة و ٥٤ دقيقة شمالا) الى نصفين شمالي وهو مواجه لإقليم الشامية الممتد من الضفة اليمنى لنهر الفرات، أما القسم الجنوبي لجزيرة جبة فيواجه اقليم اراضي الجزيرة الممتد على الضفة اليسرى لنهر الفرات.

من البديهي ان تحاط جزيرة جبة من كل جوانبها بالمياه، قائمة في نقطة حيوية تتموضع بين أنحنائين كبيرين لنهر الفرات يرسم كل منهما نصف دائرة أو اكثر، (الصورة - ١) وبسبب هذا الانحناء اللافت للنهر في مجراه الصخري صارت الجزيرة موضوع الدراسة تمتد بشكل طولي من الغرب الى الشرق، وشكلها يشبه السمكة الكبيرة العائمة في مياه الفرات، رأسها نحو الغرب. ولعل توسط الجزيرة عقيق النهر وارتفاعها النسبي فوق مستوى الماء بأمتار عدة، ساعدا على اتساع مجراه في هذا الموضع ولاسيما في مجراه الايمن الممتد مع ضفة النهر الغربية وهي جزء من الاراضي المعروفة بالشامية.

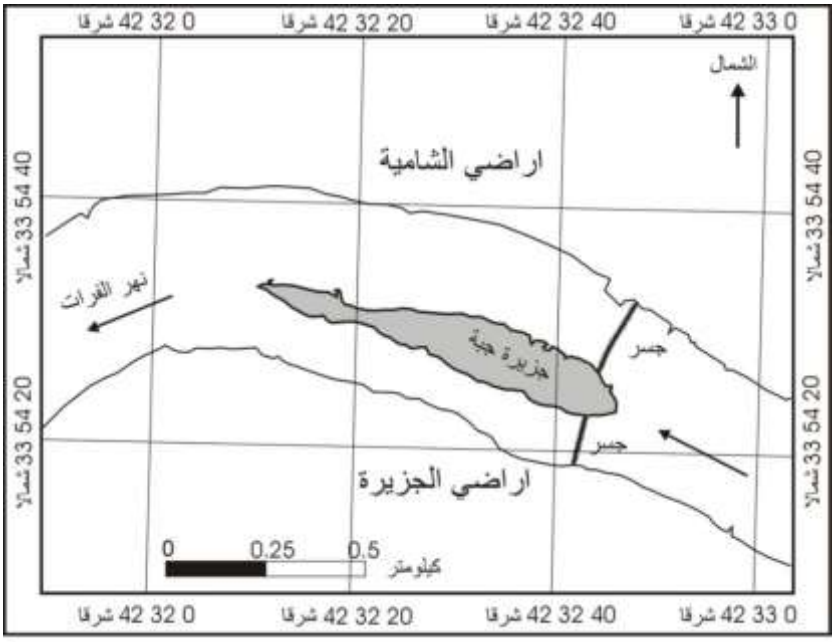

(الخارطة - ١) خارطة جبة وفق المرئية الفضائية لعام ٢٠١٠

ولا شك أن ارتفاع جزيرة جبة البالغ (٨٢م) فوق مستوى سطح البحر[١٩] وطبيعة أرضها قد ساعدا على بقائها مسكونة لقرون طويلة وحفظها من الغرق، فالناظر الى حواف النهر الشرقية يلاحظ بيسر كيف أن النهر قد ترك آثاراً منحوتة بطبقات الهضبة الصخرية، والآثار المنحوتة تؤكد شدة انحدار المياه وارتفاعها في السابق ولاسيما في مواسم الفيضانات، إذ يرتفع منسوب النهر في بعض السنوات ارتفاعا مهولا فيتسبب في غرق الجزيرة، ومعها الجزر الفراتية الاخرى ومنها على سبيل المثال فيضان عام ١٨٨٨م الذي أرخ له الرحالة (كلارك) وقد ذكر ان معظم المدن الصغيرة في الجزر الفراتية كانت قد تعرضت الى الغرق بسبب الفيضان المذكور ومنها جبة وتلبيسي حيث هرب السكان بعد غرق منازلهم الى التلال العالية التي تطل على مجرى الفرات[٢٠]. وشهد الفرات فيضاناً أخراً كبيراً في مطلع ١٨٩٦م ولشدة هول الفيضان انقطع الطريق بين بغداد والمدن الغربية والمار بالصقلاوية وهيت وعانات [٢١]. وكذلك في نيسان عام ١٨٩٨م اغرق ماء الفرات بغداد وزروعها[٢٢]. بيد أن

أعنف الفيضانات للفرات في التاريخ المعاصر كانت في عامي ١٩٦٧م و ١٩٦٨م والذي تسبب في غرق الجزر الفراتية ومنها جبة، إذ ما زال كبار السن يتذكرون ما حدث للناس جراء تلك الفيضانات من ضرر وتهجير.

يبلغ طول الجزيرة من الغرب الى الشرق بحسب برنامج (Google Earth) نحو (٩٦٠م) وأقصى عرض فيها لا يتعدى (١٥٠م)، ومن المؤكد أن طول الجزيرة وعرضها قد نقصا عما كانا عليه قبل قرن من الزمان بدليل اطلال النواعير التي كانت مبنية على ضفاف الجزيرة قد اصبحت اليوم بعيدة عن جرفها، بل غاطسة في الماء. أما مساحتها الحالية فتربو على (٩٥.٠٠٠م^{٢}) الف متر مربع تقريباً.

المعالم العمرانية في جزيرة جُبّة:

تحتضن جزيرة جبة مجموعة من المعالم التراثية، منها مازال قائما وحالته جيدة مثل بيوت السكن، والآخر مهدما كلا أو جزءا مثل الجامع العتيق، وضريح السيد حمد، أو معطلا مثل النواعير، أو أثراً وأطلالاً مثل تحصينات المدينة وسورها. ويمكن تقسيم المعالم التراثية في جبة الى معالم عسكرية ودينية وخدمية:

أولا: المعالم العسكرية

من المفيد ذكره أن معظم الجزر الفراتية الموغلة في القدم كانت محمية بأسوار، وقلاع صغيرة. بيد أن هذه التحصينات قد عفا آثرها بسبب الفيضانات والإهمال أو التهديم بقصد الاستفادة من حجارتها في بناء المساكن والمنشأت المختلفة. لذلك فالأسوار في بعض الجزر لم يبق منها إلا اجزاء يسيرة. باستثناء جزيرة عنة المعروفة قديماً بجزيرة (لباد) التي كانت محاطة بسور قديم يطوف بها من جميع الجهات بُني على الارجح بالعصر الاشوري وجدد في العصور الاسلامية المختلفة. وجد بقصد حماية الجزيرة ومنشاتها من الأعداء وله وظيفة اخرى تتمثل بحماية الجزيرة من الفيضانات. وقد بقي هذا السور قائما بفضل رعاية دائرة الاثار والتراث التي سعت الى صيانته والمحافظة عليه في ثمانينات القرن الماضي.

والحقيقة لم يبق من سور جُبّة سوى أجزاء يسيرة قائمة عند الراس الغربي للجزيرة، تطل على الجهتين الشمالية والجنوبية. وقوام بقايا الاسوار حيطان طويلة مبنية على حافة الجزيرة بالحجارة والنورة والجص بأسس متينة مقاومة للرطوبة. (الصورة - ١)

لقد فقدت جُبّة اسوارها منذ زمن بعيد لا نعلمه، لذا لم يتحدث عنها كبار السن من اهل المدينة باستثناء ما توارثوه عن الاجداد. ورواياتهم المتواترة تؤكد ان الجزيرة كانت في بعض العصور التاريخية مؤمنة بسور يحيط بها من كل الجهات، ولم تكن له فتحات سوى المآخذ التي يتزود منها الناس بالمياه والمآخذ تكون على شكل فتحات تسمح بوصول الناس والحيوانات الى النهر بقصد الشرب أو ملء النساء جرارهن وحملها الى البيوت، لاسيما وان بيوت السكن في جبة تخلو من الابار لقربها من النهر، لذلك الحاجة الى ماء النهر مستمرة في كل يوم ولا تتوقف.

وللسور فائدة أخرى تتمثل بالمحافظة على حدود الجزيرة وحمايتها من التجريف الذي يحدث باستمرار بفعل سرعة تيار الماء ولاسيما وقت الفيضان. وهو بذلك يُسهم في حماية البيوت المطلة على شاطئ النهر، ويحافظ - في الوقت نفسه - .على البيوت المتكئة عليه ويزيدها قوة ومتانة.

لقد تحدث الرحالة الهولندي المشهور ليونهارت راوولف (١٥٧٣م) عن تحصينات جزيرة جُبّة الدفاعية ووصفها بأنها قوية، وفيها حصن قائم على ربوة من أرضها. بيد أن راوولف لم يصف ذلك الحصن وأكتفى بالإشارة اليه[٢٣]. في حين ذكر الايطالي كاسبرو بالبي أنها محصنة "بقلعتين في كل جهة منها"[٢٤]. ومهما يكن من امر فلا يوجد اليوم في جبة وما حولها اثرا لتلك القلاع المذكورة، وأظن أن احدى القلاع كانت مواجهة للضفة اليمنى من النهر وكانت مكملة لأسوار الجزيرة وبقربها ناعور يسقي البساتين الواقعة في الجزء الغربي منها.

(الصورة - ١) بقايا سور جزيرة جُبّة

ثانياً:المعالم الدينية

١- الجامع العتيق في جُبّة:

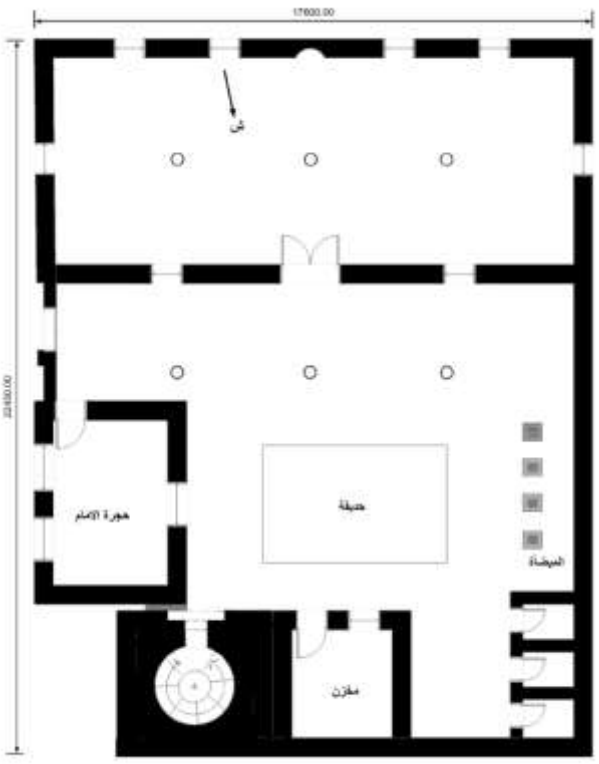

(المخطط - ١) جامع جُبّة رسم الباحث

أذن موضع جامعنا هذا قد شهد بناء مساجد تعاقبت فيه على مر الحقب التاريخية. وأقدمها مسقف بالأقبية والقباب، ثم جامع من طراز أخر يتذكره كبار السن كان مسقفا بسقف مستوٍ من جذوع الاشجار وجريد النخيل وفوقه حصر محاكة من ورق سعف النخيل (الخوص)، ومطرور من الاعلى بالطين. والأخير قد أزيل في عام (١٩٥٢) ليشيد مكانه الجامع موضوع الدراسة الذي تعرض بتاريخ ٢٧ . ٢ .٢٠١٥ الى تهديم بأيدي الارهابيين.

وقوام تخطيط الجامع بيت صلاة، يتقدمه رواق ينفتح على صحن مكشوف واسع في مؤخرته مئذنة، وثلاثة كنيفات وميضأة، وقد أضيف الى الصحن في وقت لاحق حجرتان أحدهما للإمام والأخرى مخزن. مبني بالحجارة غير المنحوتة والجص، وثخن جدرانه تربو على (٦٠سم). (المخطط - ١)

للجامع واجهة بسيطة تطل على الجهة الشرقية، يتوسطها المدخل الرئيس، وقوامه فتحة مستطيلة (٢.١٠×١.٣٠م) مشغولة بباب حديد حديث الصنع يتكون من مصراعين، وفوق الباب كتابة حديثة مؤكدة بعقد مدبب نصها: "جامع جُبّة القديم" . (الصورة - ٢)

يقود المدخل إلى الرواق الذي يتقدم بيت الصلاة. وبيت الصلاة مستطيل الشكل أبعاده من الداخل (١٦.٥٠×٦.٤٠م)، يتكون من أسكوبين تفصل بينهما ثلاثة أعمدة دائرية من الحديد يستند عليها سقف مستوٍ ارتفاعة (٣.٦٠م) مبني بقطع صغيرة من الحجارة والجص،

والحجارة محصورة بين عوارض من الحديد (الشيلمان). علما أن هذا النوع من السقوف ينفذ بقالب من الخشب عادة، فبعد حصر القالب بين عارضتين وإسناده من الأسفل باعمدة خشب، يبدأ فرش كسر الحجارة فوقه، وبعد ترتيبها بشكل جيد يسكب عليها كمية كبيرة من الجص الرائب، ومن الضروري هنا أن يكون الجص سائلا وخفيفا ومن النوع الجيد كي يتخلل الفراغات بين قطع الحجارة الصغيرة ليصبح السقف بعد جفافه وكأنه قطعة واحدة.

يؤدي إلى بيت الصلاة مدخل يقع في منتصف جدار المؤخرة، مشغول بباب حديد يتكون من مصراعين. وبيت الصلاة مزود بثمان نوافذ وجدت لإدخال الضوء والهواء مفتوحة نحو الجهات الاربعة، وتطل على الطرقات المحيطة بالجامع، وهي مشغولة بشبابيك من الحديد ابعاد كل منها (١.٢٠× ١م)

ومن الطبعي أن يزود بيت الصلاة بمحراب ينصف جدار القبلة، على شكل حنية بسيطة متوجة بعقد، وقد تهدم جدار القبلة بكامله، كما تهدم سقف الجامع بعد أن طاله التفجير. (الصورة - ٣)

يتقدم بيت الصلاة رواق عمقه (٣.٥٠م) يتكئ من جهة الصحن على ثلاثة أعمدة دائرية من الحديد، وسقفة أوطئ من سقف بيت الصلاة بقليل، مبني بعوارض من الحديد (الشيلمان) ومعقود بالحجارة الصغيرة والجص.

وأمام الرواق صحن مكشوف تتوسطه حديقة صغيرة زرع فيها نخلتان وسدرة. والصحن مزود بميضأة قوامها أربعة مقاعد يجلس عليها المتوضئون، وأمام كل مقعد صنبور ماء مرتبط بخزان حديد معلق على سطح الكنيفات المجاورة للميضأة. وعدد الكنيفات ثلاثة وقد شغلت الزاوية الشمالية الغربية من الجامع.

لقد شهد الجامع في سبعينيات القرن الماضي إضافات أهمها حجرتان تقع الاولى على يمين الداخل مستطيلة (٣.٦٠×٥م) كانت بمثابة مكتبة تضم مجموعة طيبة من الكتب الدينية والتاريخية، وهي في الوقت نفسة حجرة لاستقبال الزوار واستراحة يجلس فيها امام الجامع. أما الثانية فتقع بلصق المئذنة وهي صغيرة تستعمل مخزناً لحفظ اللوازم والحاجيات الخاصة بالجامع. كما شهد أضافة بيت صغير للإمام اقيم بلصق الجامع من الناحية الشمالية، والبيت مازال قائما مبنياً من طابقٍ واحد، وقوام تخطيطه حجرتان وصحن.

(الصورة - ٢) واجهة الجامع قبل التهديم

(الصورة - ٣)الجامع بعد التهديم

مئذنة جامع جُبة:

ازيل الجامع القديم كلية في عام (١٩٥٢) ولم يبق منه سوى مئذنته التي تدل على قدمه واصالته. وهي تبدو للناظر من بعيد شامخة وسط الجزيرة وباسقة مثل النخيل الذي يحيط بها من كل جانب. اما عن تاريخها فتبدو انها مضافة في العصر العثماني، بناء على طرازها الذي شاع في مدن كثير. ومنها هيت والمعمورة. (الصورة - ٤)

شغلت مئذنة جامع جبة التي نحن بصدد توثيقها الزاوية الشمالية الشرقية من الصحن، لتلامس قاعدتها المربعة حدود الزقاق الذي يقود الى المدخل الرئيس للجامع. وهي تقوم على قاعدة مربعة طول ضلعها حوالي ٤م([٢٥]). وارتفاعها يربو على ٣.٦٠م.

يقود المدخل الى ممر قصير طوله ١.٢٠م يمثل ثخن جدار القاعدة، يوصل الى درج حلزوني عرضه ٥٥سم يدور حول لب مدور قطره ٥٥سم أيضا ينقطع عند ارضية الشرفة. اما الدرجات فهي مبنية بالحجر بالتزامن مع بناء الجدران الخارجية صعودا وعددها ٦٨ درجة، وقد راعا المعمار فيها ان تكون مريحة في الصعود لذلك جعل ارتفاع الواحدة لا يزيد عن ٢٥سم. يصعد عليها المؤذن في الاوقات الخمسة فيتكئ بيده اليسرى على اللب وفي اليمنى على جدار المئذنة.

وبغية الانتقال من القاعدة المربعة الى البدن الدائري في قطاعه الافقي جعل المعمار بين الاثنين منطقة مثمنة يبلغ طول الضلع فيها ١.٣٠م وارتفاعها ١.٩٠م.

يبلغ ثخن جدران المئذنة من خلال النوافذ في الجزء المثمن ٧٠سم، ويترجع قليلا في البدن الدائري ليصبح ٦٠سم. وبهذا يكون مقدار القطر الخارجي للبدن يربو على ٢.٨٥م.

(الصورة - ٤) مئذنة جامع جُبّة

وشرفة المئذنة اخذت شكل البدن وخرجت عن سمته مقدار نصف متر مستندة على افريزين تدرجا في البروز نحو الاعلى، والافريزان بمثابة المقرنصات مصممة على شكل كتل حجرية مثلثة رتبت بصفين تشبه اسنان المنشار. ولحماية المؤذن من السقوط أحيطت الشرفة بدائر يربو ارتفاعه على ١.١٠م مبني بالحجر بثخن لا يزيد عن ١٠سم ويقينا ان قلة ثخن الدائر كان بقصد تخفيف الوزن عن الشرفة لضمان ثبوتها.

يعلو الشرفة رقبة أسطوانية ترتفع في الهواء (٣.٣٥م)، فتح فيها أربعة منافذ (١.٦٠م×٠.٥٠م) تعلوها عقود مدببة تتجه للاتجاهات الاربعة. وجدت لخروج المؤذن منها الى الشرفة عند رفع الآذان، ولها فائدة اخرى تنحصر في تخفيف الثقل على الأسس والاقتصاد في الكلفة ومواد البناء، وللسبب نفسه استدقت جدران الرقبة مقارنة بالبدن فسمحت للشرفة بالاتساع، وتقلص قطرها من الداخل (١.٤٥م)، وثخن جدرانها (٣٥سم).

ومن المعروف ان كثرة الفتحات في الرقبة كان بقصد تخفيف الثقل والاستغناء عن السقالات التي يعتمدها المعمار عادة لربط الرقبة وشد أجزائها بوصفها معرضة للرياح دائما. وزيادة في عامل الامان وللتخفيف من شدة التاثيرات السلبية التي تحدث من جراء اصطدام الرياح، فتح في الرقبة (١٢) نافذة دائرية قطر الواحدة ١٥سم، ثمانية منها مرتبة في الاعلى على شكل صف، والاربعة الاخرى شغلت كوشات العقود.

تتوج الرقبة قبيبة نصف كروية مضلعة من الخارج وملساء مجصصة من الداخل. وفي قمة القبيبة حلية على شكل ميل يحمل كرة من النحاس يخترقها سفود حديد مثبة بالبناء بقوة، والكرة النحاسية على الارجح مضافة اثناء الصيانة. وقد صار ارتفاع المئذنة الكلي يربو على ٢١م تقريبا.

(الصورة ـ ٥) الدرج فوق القاعدة

تتميز مئذنة جبة عن باقية المآذن المبنية في العصر العثماني في العراق بانها مزودة بدرج خارجي يرتقيه المؤذن بدلا من الصعود الى شرفتها، والدرج داخل هيكل من البناء بمثابة مقصورة فوق القاعدة لها نوافذ يقف فيها المؤذن تحميه من المطر واشعة الشمس. (الصورة - ٥)

(الصورة – ٦) المئذنة بعد التفجير

وللأسف أن جامع جبة ومئذنة قد طاله الارهاب، إذ تعرض للتفجير في يوم ١٧. ٢ . ٢٠١٥ فسقط بيت الصلاة وسقطت المئذنة التي تُعد رمزا من رموز المدينة ومعلم من معالمها الاسلامية العتيدة. ليس هذا فقط بل هي من بين المآذن الاسطوانية المهمة التي خلصت الينا من العصر العثماني. كما أنها ثالث أهم المآذن في محافظة الانبار، حيث تُعد مئذنة عنة من اقدم الماذن فيها، ثم تليها مئذنة جامع الفاروق في هيت، ومئذنة جامع جُبّة. (الصورة - ٦)

وبفضل من الله وتوفيقه قمنا بتوثيقها (٢٠١٤) قبل تفجيرها بشهور، لنحفظ بذلك آثراً مهماً من آثار هذه المدينة الموغلة في القدم. وتوثيقها شمل دراسة طرازها وعناصرها ومواد بنائها بالحجر والجص مع تثبيت قياساتها بدقة والتي شملت ارتفاعها وقطرها وثخن جدرانها وابعاد كل من قاعدتها وبدنها ورقبتها وشرفتها، ووقفنا على تقنيات بنائها ورسمها وتصويرها. لذلك بات من اليسير اعادة بنائها بالحجارة نفسها على ما كانت عليه في السابق، ولا سيما أن أسسها وجزءا من قاعدتها مازالت ظاهرة للعيان.

٢- ضريح السيد حمد في جبه:

ينسب هذا الضريح إلى شخص يعتقد أهل جُبّة بأنه رجل صالح يدعى السيد حمد أو السيد أحمد، وهو مجهول النسب، لايوجد له ترجمة في بطون الكتب وكل الذي يقال عن شخصه كلام غير موثق. ولاسيما وان ضريحه قديم وخال من اي شاهد كتابي يؤكد تاريخه.

يقع ضريح السيد حمد في الناحية الجنوبية من مدينة جُبّه، ويتموضع على رابية مرتفعة يطل منها على الضفة الشرقية لنهر الفرات، وهو كالحصن يشرف على المنطقة

المحيطة بالتل من جميع الجهات ويسيطر على المجرى المائي الذي كان مستعملا للملاحة منذ أقدم العصور. وموضع الضريح جزء من مقبرة قديمة مازالت مستعملة لدفن الأموات من أهل المنطقة. (الصورة - ٧)

(الصورة - ٧) ضريح السيد حمد من بعيد

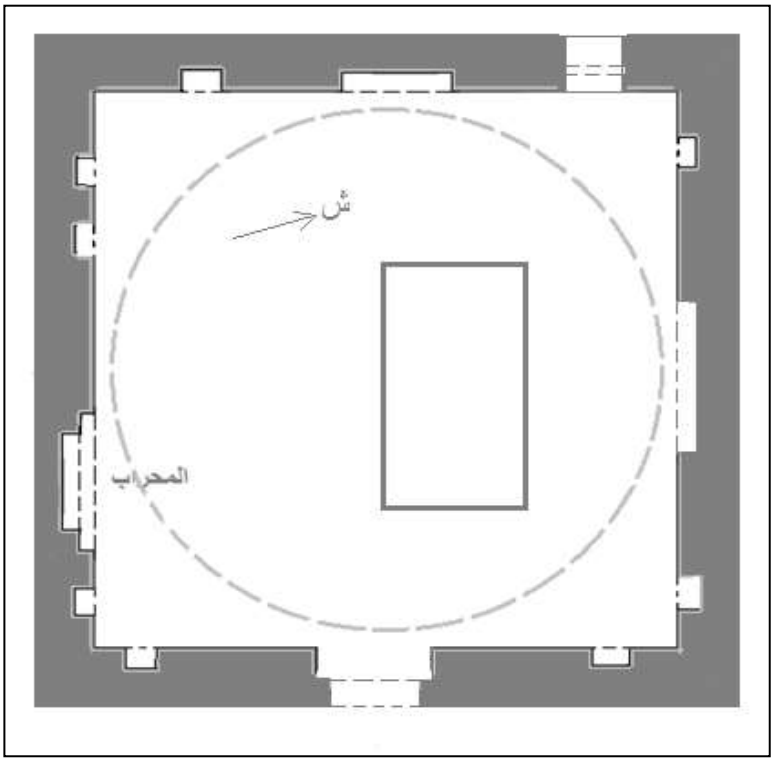

(المخطط - ٢) ضريح السيد حمد

توصلت الدراسة الميدانية والزيارات المتتالية عن كثب إن الضريح في الأصل عبارة عن حجرة مربعة الشكل طول ضلعها خمسة امتار مسقفة بقبة. (المخطط - ٢) وفي لصق القبة من الجهات الأربعة أبنية مضافة في فترة لاحقة من تاريخ البناء. وقوام هذه الزيادات حجرات مكملة للضريح كانت مسقفة بأقبية وجد بعضها لخدمة الزوار. ولعلها وجدت أيضا لإقامة ثلة من الجند الرقباء الذين يسهرون على حماية المنطقة والسيطرة على الممر المائي في الفرات. بيد إن هذه الحجرات ما لبثت أن تهدمت وأصبحت اليوم كومة من الأنقاض بأستثناء قاعة مسقفة بقبو مدبب ملاصقة لحجرة الضريح من الجهة الشمالية، أراد القائمون على الضريح توسيعها في فترة لاحقة فزادوا في طولها.

وللاسف سقطت القبة في زمن بعيد لا نعلمه وغاب عنا معرفة شكلها لان كبار السن لم يدركوها قائمة. ويتضح من بقايا البناء المنتصب فوق القاعدة في الضلعين الشمالي والشرقي مقدار تراجع الجدران إذ يقل ثخنها كلما علت نحو الأعلى بقصد تخفيف الثقل عن الأسس ليصبح ثخن جدار طاسة القبة لا يزيد على ٢٠سم.

أما الحنايا الركنية التي وجدت لتحويل الشكل المربع إلى دائرة كي تتطابق حافاتها العليا مع حافة القبة، فلا أثر لها في الوقت الحاضر، وهي على الأرجح حنايا عميقة محددة بعقود مدببة شكلها يتماشى مع عقود المحراب والمدخل.

ثالثاً: الابنية السكنية

لقد كشفت الدراسة الميدانية التي قامت على مجموعة من تصاميم البيوت التراثية، التي مازالت قائمة في وسط جزيرة جبة ومعظمها اطلال، والقائم منها متاخر في التاريخ، ويمكن تقسيمها الى انماط هي:

١ـ بيوت ذات مساحات كبيرة نسبيا، بعضها يتكون من طابق أو طابقين بنيت من قبل العوائل الميسورة تتألف من صحن مكشوف تنتظم حوله مجموعة من الحجرات ومطبخ وحمام وكنيف فضلا عن الديوان. والبناء مغلق الى الداخل باستثناء الفتحات الشاقولية العليا التي تشبه المزاغل كما اسلفنا. ويمتاز هذا النوع من التصميم بتعدد مداخله الخارجية ومن ثم تعدد المجازات التي تقود الى الصحن. (المخطط - ٣)

٢ـ بيوت متوسطة المساحة من طابق واحد، الوحدات البنائية فيها مكررة تنتظم حول صحن مكشوف وفيها ديوان. ومزود بمجاز منكسر أحيانا، يتميز بانفتاحه نحو الداخل، لعدم وجود نوافذ تنفتح الى الخارج باستثناء فتحات عالية تحت السقف لزيادة انارة الحجرات وتهويتها في الصيف. (المخطط - ٤)

٣ـ بيوت صغيرة المساحة لا تتعدى المائة متر. تعود الى الطبقة الفقيرة وقوام تخطيطها حجرة ومعها ايوان او حجرتان متقابلتان او متلاسقتان تنفتحان على صحن مكشوف. وفي الصحن درج وكنيف. ويمتاز هذا التخطيط بخلوه من حجرات الضيافة والمطبخ.

٤ـ هناك نوع أخر من البيوت ذات المساحات الصغيرة، يمثل بيوت الطبقة المتوسطة والفقيرة، ويتميز بخلوه من الصحن حيث تجتمع الوحدات البنائية حول مجاز كبير مسقف تحيط به ثلاث حجرات أو اربعة من طابق واحد. وله واجهة يتوسطها المدخل الرئيس وعلى جانبية النوافذ التي تعتمد في أضاءة وتهوية الحجرات. وهذا التصميم من البيوت متاثر بالطرز الغربية وهو متاخر اخذ بالانتشار في النصف الاول من القرن الماضي.

إن المتجول في جزيرة جبة اليوم يشاهد عدداً من البيوت المهدمة أنتشرت بين أزقتها، وفيها بعض الحجرات التي أستعملها بعض الساكنين هناك اسطبلات لإيواء الاغنام، بعد أن هجرها أهلها وبنوا بيوتا حديثة الطراز توزعت على ضفتي النهر، او على الهضبة القريبة.

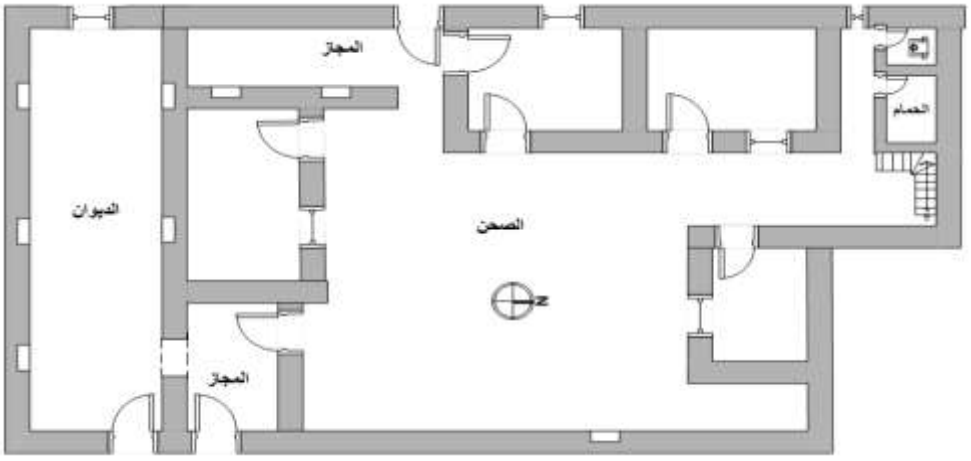

(المخطط ـ ٣) أحد البيوت الكبيرة / رسم الباحث

(المخطط ـ ٤)أحد البيوت المتوسطة المساحة رسم الباحث

ولحسن الحظ إن بقايا هذه البيوت التراثية ما زالت تحتفظ ببعض سقوفها القديمة التي تتمتع بقدرتها على العزل الحراري ومقاومتها للرياح والرطوبة، ومعظمها مغطى بالخشب والقليل منها بالاقبية. إذ يكون إختيار أشكال السقوف بناءً على معرفة مسبقة بمعدل الأمطار الساقطة سنويا، وتأثير الرياح، والتباين في معدلات درجات الحرارة.

رابعاً: النواعير

الناعور ظاهرة حضارية أصيلة ابتدعها العراقيون القدامى وطوروها على مر الزمن، وهي ذات مدلولات اقتصادية وإنسانية ورومانسية، صار لابد من استثمارها بوصفها شاهدا تاريخيا على عمق الحضارة وأصالتها.

وفيما يخص تاريخ ظهورها في العراق فلا يعرف على وجه التحديد ذلك، بيد أن التنقيبات الإنقاذية التي أجريت في ثمانينيات القرن الماضي في حوض سد حديثة، أكدت إن الناعور هو الواسطة التي استخدمت لرفع الماء من نهر الفرات لسقي الأراضي المزروعة في تلك المنطقة. حيث كشفت البعثة الكندية التي نقبت بالقرب من منطقة الفحيمي ـ الواقعة في منتصف المسافة بين عنه وحديثة ـ من العثور على كسر لأواني فخارية كانت تُربط على الناعور والمعروفة محليا باسم (القوق) تعود بتاريخها إلى الألف الأول قبل الميلاد(٢٦). ومما يدل على قدم الناعور وأصالته في العراق هو ما ذكره المؤرخ الروماني اميانوس مرشيلينوس الذي رافق حملة الامبراطور جوليان (٣٦١ ـ ٣٦٣م) عندما أنحدر بجيشه مع الفرات لمقاتلة الفرس وملكهم سابور الثاني الملقب بسابور ذو الأكتاف. وقد وصف هذا المؤرخ العديد من المدن والمواضع التي مر بها أثناء الحملة ومنها (عنـه) التي حاصرها أسطولهم ثم أحرقها بعد هروب أهلها منها، وفي اليوم التالي غرقت عدة سفن من هذا الاسطول لاصطدامها بسدود كانت مبنية في النهر بقصد الري. وهي أشارة تدل على سكور النواعير ودواليها الممتدة بعيدا في النهر(٢٧). واذا تجاوزنا الآثار نجد في علوم اللغات القديمة ما يفيد تأصيل المعنى، ومنها لفظته المشتقة من الفعل البابلي (فئارو) الذي يعني نعر(٢٨).والنعر والنعير في معاجمنا العربية يعني الصوت العالي والصراخ والصخب(٢٩).

وفي الحقيقة لا تختلف تصاميم النواعير في كل من هيت وجبة والحديثة وعنـه عن بعضها البعض، أذ تتشابه في بنائها وتركيبها، والاختلاف الوحيد يكمن في تسميات اجزائها وجميعها تسميات محلية. (الصورة ـ ٨)

(الصورة - ٨) ناعور من الجهتين في البغدادي

وفيما يخص نواعير جُبّة المعطلة فلم يبق منها اليوم سوى الاطلال، بعضها يمكن مشاهدته قائما على ضفتي النهر من الجهتين (الشامية والجزيرة)، وبعضها الاخر مازال قائما على ضفاف جزيرتها (موضوع الدراسة). وقد أحصاها أحد الباحثين من أهل المدينة بأسمائها وعلى وفق ما خلص اليه من كبار السن وأهمها: ناعور الصواية، ناعور الكرين، ناعور المذنب، ناعور حجي علي، ناعور بيت غريب، ناعور سيالة، نواعير البلد[٣٠]. والنواعير المذكورة مؤشرة في خارطة (الكادسترو) المرسومة في عام ١٩٤٥. وتفيدنا في بيان مواضعها على ضفاف الجزيرة من الجهتين الشمالية والجنوبية. فناعور غريب وناعور سيالة وناعور البلد موزعة على ضفة الجزيرة من الجهة الجنوبية التي تقابل أراضي الجزيرة، في حين النواعير الاربعة الباقية موزعة على الضفة الشمالية المقابلة لأراضي الشامية. إذن الخارطة المذكورة أكدت على وجه اليقين أن الاراضي الزراعية والبساتين في حويجة جُبّة كانت تسقى بوساطة سبعة نواعير، لم يبق منها اليوم سوى بعض الاطلال ومنها على سبيل المثال أطلال ناعور الصواية الواقع قرب مدرسة جُبّة القديمة.

خامساً: طواحين الماء:

عرفت المطاحن الحجرية في العراق منذ أقدم العصور، وكانت بداياتها بسيطة كما تشير المخلفات الاثرية التي خلصت الينا من مواقع قديمة تعود الى الالف الثالث ق.م. ومعظمها مدقات مخروطية تمسك باليد وأخرى مقعرة تدق عليها الحبوب. مصنوعة من حجارة بركانية صلبة، وأحيانا من الحصى. وهذا اللون من الآلات لازم الانسان آلاف السنين وحتى الوقت الحاضر وهي اساس "الهاون" و "الميجنة"[٣١]. وقد ساعد الاستقرار في القرى على وفرة في الانتاج الزراعي وبدوره اسهم في تحسين اقتصاد المدن، فظهرت الحاجة الى

تطوير آلات طحن الحبوب فأبتكر سكان وادي الرافدين وسائل جديدة منها ما يسمى ب "المجرشة" أو " الرحى" وهي عبارة عن حجرين دائريين مصممان على شكل قرصين مصنوعان في الغالب من حجر البازلت الاسود، ويكون الجزء العلوي مثقوبا من وسطه لتمرير الحبوب، وله مقبض من الخشب يساعد على دورانه فوق القرص السفلي. ثم دعت الحاجة الى تطوير هذه الآلة لجعلها تدور بواسطة الحيوان، وفي مرحلة لاحقة أستغل الانسان القوة التي يولدها جريان الماء في الانهار فأبتكر طواحين الماء، كما أستغل قوة الرياح فأبتكر طواحين الهواء. ثم استفاد من الآلات التي تعمل بالبخار والنفط والكهرباء.

لقد قسم أحد الباحثين[٣٢] مطاحن الحبوب الى ثلاثة أنواع:

١- المدارات: وهي رحى كثيرة الانتشار تكون داخل البيوت في المدينة وشوارعها، وتعتمد في دورانها على قوة الحيوان، وعادة بها حجر واحد للطحن،

٢- العروب: وتعني السفينة التي فوقها رحى يديرها شدة جريان الماء. والسفن متجاورة بينها مضايق ينحبس فيها ماء النهر. وقد نصبت عليها دواليب ذات اجنحة تدور بتاثير الماء، والدواليب بدورها تقوم بتدوير دواليب اخرى متصلة بأقراص الطواحين. وقد أنتشر هذا النوع من المطاحن في الموصل إذ حدثنا عنها ابن حوقل المتوفى بعد سنة ٣٦٧هـ [٣٣]وتحدث ابن الجوزي عن العروب في بغداد سنة ٤١٩هـ إذ اشتد البرد فيها فجمدت حافات دجلة، ووقفت العروب في بعكبرا[٣٤] عن الدوران لجمود ما حولها"[٣٥]

٣- الرحى: وهي تدور بتأثير الماء وأكثر ما تكون في القرى فيستفاد من الانهار والجداول والعيون. والأمثلة على ذلك في مدننا الفراتية وبلاد الشام كثيرة بل لا يحدها الحصر. إذ يتكرر ذكرها أثناء الحديث عن الفيضانات أو شحت المياه في الانهار بسبب قلة تواتر الامطار

ومن المؤكد ان جميع المدن الفراتية في العراق كانت تعتمد على طواحين الماء بوصفها ذات جدوى اقتصادية عالية، لذلك شاعت في هيت وجُبّة وآلوس والحديثة وعنه وراوة. إذ بالإمكان أن نشاهد أطلالها اليوم في مجرى الفرات على شكل جدران من الصخور التي تحكي بكل عز وفخر قصص بناتها الاقوياء الذين استغلوا مصادر الطبيعة وحاولوا توظيفها في صناعة قوتهم.

على الرغم من صغر مساحة جُبّة ومحدودية نفوسها إذ تقدر عدد البيوت في جزيرتها حوالي مئتين بيت، الا أنها تمتلك إبان العصر العثماني عددا كبيراً من المطاحن المائية مازال بعضها قائما حتى اليوم على شكل اطلال داخل مجرى النهر وعلى شواطئه، وقد قدر أحد الباحثين عددها بخمسين طاحونة مائية بقيت تعمل حتى منتصف القرن الماضي، استعمل بعضها لطحن الحبوب وبعضها الاخر أختص بطحن قشور الرمان التي تباع في الموصل لأعتمادها هناك في دباغة الجلود[٣٦]. منها ثمانية في الجزيرة وحدها مازال كبار السن من اهالي جبة يذكرونها بأسمائها وأشهرها اربعة تعمل مشتركة مع النواعير وهي: ١- طاحونة ناعور المذنب ٢- طاحونة ناعور حجي علي ٣- طواحين ناعور البلد ٤- طواحين شريعة جبة (الشامية)[٣٧].

طرائق توظيف معالم جبة التراثية بالسياحة:

في وسط الفرات جزر تدعى غالبا باسم الحوائج جمع (حويجة)، قامت عليها مدن وقرى محصنة أشهرها عنة والحديثة وآلوس مرتبطة مع اليابسة بجسور. وأخرى لم يبق منها

إلا اسمائها القديمة وهي كثيرة، ومن صفات هذه الجزر تكون متشابه في البنية والتكوين، وأحيانا تتشابه بالشكل وتختلف في المساحة والارتفاع، فضلا عن عشرات الجزر الأخرى الصغيرة غير المرتبطة مع اليابسة بجسور خشبية ومعظم هذه الجزر غير مسكونة أو قليلة السكن وينماز بعضها بكثافة غطائها النباتي الطبيعي وبعضها الآخر مستغلة من الاهالي ومزروع بالخضرة والنخيل والأشجار المثمرة.

ولا شك أن الجزر المذكورة ومنها جُبّة تُعد من أجمل البقاع في محافظة الانبار، إذ حباها الله تعالى بموقع متميز وسط الفرات، محاط من جميع جوانبه بالماء. وارتفاعها البالغ ٨٢م عن مستوى سطح البحر ساعدها للتمتع بطيب الهواء في فصل الصيف. فضلا عن كثافة الاشجار وبساتين النخيل الممتدة على ضفتي النهر، مما يجعلها صالحة أن تكون منتجعاً للسياحة ولاسيما في فصل الصيف.

ولو قدر لجبة أعادة تأهيل جزيرتها بالكامل وجعلها مرفق سياحي، بعد تنظيمها طبعاً بالشكل الذي ينسجم ومتطلبات هذه الصناعة من فنادق وشاليهات وأسواق ومطاعم. مع المحافظة على تخطيطها وصيانة ابنيتها التراثية وإعادة بناء جامعها العتيق ومئذنته الاثرية، وتأهيل بعضاً من نواعيرها القديمة، وترتيب شاطئها الرملي، واعتماد شخاتيرها في التنقل. لكانت واحدة من بين المنتجعات المهمة القادرة على استقطاب عوائل كثيرة من داخل العراق وخارجة.

ولا شك أن هذا المشروع هو جزء من التنمية المستدامة التي تحتاجها اليوم محافظة الانبار، للنهوض باقتصادها بعد النكبات التي خلفتها الحروب المتتالية وتدمير البنى التحتية لمدنها. ففي الانبار مقومات السياحة الطبيعية والبشرية التي تُسهم في توسيع فرص العمل للشباب، وجلب الاستثمار، وتنمية مشاريع البنى التحتية.

الخاتمة:

يمكن حصر النتائج التي توصل اليها البحث بالنقاط الاتية:

- حاول الباحث تحديد موقع جزيرة جُبّة وموضعها على الخارطة، بالاعتماد على المرئيات الفضائية أو برنامج (Google Earth). وبيان أبعادها وارتفاعها عن مستوى سطح البحر، مع قياس عرض النهر في هذه النقطة الحيوية التي ينعطف فيها الفرات بشكل كبير. ومن ثم رسمها كما تبدو في الصور الخاصة بالأقمار الاصطناعية.
- وفيما يخص المعالم التراثية الباقية في جزيرة جُبّة فقد تم حصرها في ثلاثة أنواع على وفق وظيفتها وهي:

١- المعالم العسكرية وتتمثل بسور الجزيرة والقلاع التي اشاروا اليها الرحالة الاجانب في القرن السادس عشر الميلادي. ٢- المعالم الدينية وتتمثل في المسجد الجامع وضريح السيد حمد ٣- المعالم الخدمية وتتمثل ببيوت السكن والنواعير وبقايا المطاحن المائية. وقد حاول الباحث التركيز على الدراسة الميدانية وتوثيقها بالمخططات والصور، بغية توريخها بالاعتماد على ما توافر من معلومات من كبار السن أو من خلال المقارنة مع مثيلاتها من الابنية في المناطق القريبة الاخرى.

- إن أهم خطوة قام بها الباحث تتمثل بتوثيق الجامع العتيق في جُبّة بالمخططات والصور وذلك في صيف عام ٢٠١٤، أي قبل أن تطاله يد الارهاب بشهور. وأجمل ما في هذا الجامع المئذنة التي تُعد واحدة من المآذن التاريخية في العراق، وأقدم ثالث مئذنة في محافظة الانبار.

وقد تم رسمها وتثبيت أبعادها بدقة، وتصويرها قبل التهديم وبعده. مما سوف يُسهم في اعادة بناء الجامع ومئذنته على يد الخيرين من اهل المدينة على وفق تخطيطه القديم.

- وبشأن ضريح الشيخ حمد فقد وصلت الدراسة الميدانية والزيارات المتتالية عن كثب إن الضريح في الأصل عبارة عن حجرة مربعة الشكل طول ضلعها خمسة امتار مسقفة بقبة. وفي لصق القبة من الجهات الأربعة أبنية مضافة في فترة لاحقة من تاريخ البناء. ولعل الضريح أقدم بناء اسلامي قائم في جُبّة.

- ولاشك إن للعوامل البيئية والمناخية دور في تشكيل نمط تخطيط المسكن وتلاؤمه مع محيطه الطبيعي من خلال تكيفه مع خصوصيات الظروف الجوية، وفي الوقت نفسه تعالج تصاميم البيوت المشاكل البيئية والمناخية ذات العلاقة براحة الإنسان وصحته العامة. فتخطيط البيت يعتمد عادة على الصحن المكشوف الذي تنتظم حوله الحجرات بطابق واحد. وهو يضم في العادة مجموعة من العناصر البنائية أولها المدخل، ثم المجاز وبعدها الصحن والحجرات. ومن الملاحظ ان معظم البيوت في جبة تخلو من الاروقة التي تتقدم الوحدات البنائية.

ـ من البدهي أن يكون اختيار أشكال السقوف بناءً على معرفة مسبقة بمعدل الأمطار الساقطة سنويا، وتأثير الرياح، والتباين في معدلات درجات الحرارة. وقد كشفت الدراسة الميدانية عن نوعين من السقوف في عمائر جبة تتمتع بقدرتها على العزل الحراري ومقاومتها للرياح والرطوبة.

ـ مراعاة طبيعة مواد البناء من طين، وحجر، وجص، وخشب، وجهود المعمار ومساهماته في تطويع هذه المواد وتوظيفها بقصد تنظيم الطقس داخل الوحدات البنائية بما يلائم طبيعة الإنسان وعيشه في الفصول جميعها. وبشكل عام، البناء في جبة يتميز بالبساطة وعدم الأثراء وندرة الزخارف، ففي معظم الابنية تكون الجدران مبنية بالحجر والطين او باللبن، وأحيانا بالاثنين معا، وتكون مجللة من الداخل والخارج بالجص، بعضها بطريقة بدائية تعتمد على الايدي فقط، لذلك سطوحها على الدوام خشنة. ليس هذا فقط بل بعض البيوت ولاسيما الريفية منها تكسى بالطين.

واعتمدت النورة كمادة اساسية في البناء في اقليم الفرات، واستعمالها هناك بإفراط ولاسيما في المناطق المعرضة للرطوبة مثل السور وأسس الابنية عموماً وهياكل النواعير المعروفة محليا باسم (الدالية)، أو أبنية الطواحين المائية.

- توصي الدراسة بالسعي الى تأهيل جزيرة جُبّة وجعلها مرفق سياحي، بعد تنظيمها بالشكل الذي ينسجم ومتطلبات هذه الصناعة من فنادق وشاليهات وأسواق ومطاعم، مع المحافظة على تخطيطها وأبنيتها التراثية.

الاحالات

[1] - عبد الرزاق عباس حسين، نشأة مدن العراق وتطورها، مطبعة الرشاد، بغداد، ١٩٧٧، ص١٠٩.

٢ - الهمداني، ابو بكر محمد بن موسى، الاماكن او ما أتفق لفظه وأفترق مسماه في الامكنة، تحقيق حمد الجاسر، دار اليمامة، ١٤١٥هـ، ص١٩٢.

٣ - ياقوت الحموي، معجم البلدان، م٢، دار صادر و دار بيروت، بيروت، د.ت، ص٩٧.

ابن خرداذبة، المسالك والممالك، مطبعة بريل، ليدن، ١٣٠٩هـ، ص١٠.

٤ - ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع على اسماء الاماكن والبقاع، ج١، بيروت ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م، ص٣١٣.
٥ - اللحافي البغدادي، رحلة اللحافي البغدادي من بغداد الى القسطنطينية سنة ١٢٩٧هـ/ ١٨٧٩م، تحقيق عماد عبد السلام رؤوف، المورد، م١٨، العدد٤، ١٤١٠-١٩٨٩م.
٦ - البغدادي: ناحية تابعة اداريا اليوم الى قضاء هيت وتقع الى الشمال الغربي منها بحدود ٥٠كم. وتعد من المحطات المهمة على طريقي المواصلات (البري والنهري). وكانت في أواخر العصر العثماني محطة مهمة للبريد بين الشام وبغداد، لذلك أنشئ فيها خان كبير عام ١٩٠٨م لاستقبال القوافل عرف بخان البغدادي أو خان الشابندر. وقد استعمل مركزا للشرطة في العهد الملكي، ثم أزالته قبل وزارة الاسكان في ستينيات القرن الماضي لتقوم محله دائرة الطرق والجسور ملحقا بها مجموعة من البيوت السكنية مخصصة للموظفين. وقد وصف كبار السن من اهل المنطقة الخان بانه مستطيل الشكل مبني بالحجر والطين وسقفه جوائز من جذوع النخيل وجريدها فوقها طبقة من الطين. يتوسطه صحن واسع كان موظفا لربط الخيول، وحول الصحن من بعض الجهات اصطبلات على شكل قاعات كبيرة، فضلا عن مخازن للأعلاف وعددا من الحجرات. (قام الباحث في ١٢ .٨ . ٢٠١٤م بزيارة موضع الخان ولم يجد شيئاً من أثاره). أنظر: طه باقر وفؤاد سفر، المرشد الى مواطن الأثار والحضارة، الرحلة الاولى، وزارة الارشاد، بغداد، ١٩٦٢م، ص١٨.
٧ - مس بيل، من مراد الى مراد، ترجمة عبد الهادي فنجان الساعدي، دار ومكتبة عدنان للطباعة والنشر، بغداد، ١٩١٣،ص١٢٤.
٨ - The National Geographic Magazine, Vol : XXVI, July-December, 1914, P. 586.

٩ - عبد الباقي الالوسي، الروضه اليانعة في بيان السفرة الرابعة ، السفرة الخامسة ١٢٩٢هـ / ١٨٧٥م، المركز الوطني للمخطوطات ، المخطوط بدون ترقيم الصفحات
١٠ - اللحافي البغدادي، رحلة اللحافي البغدادي من بغداد الى القسطنطينية سنة ١٢٩٧هـ/ ١٨٧٩م، (تعليق المحقق)
١١ - ليونهارت راوولف، رحلة المشرق، ترجمة وتعليق سليم طه التكريتي، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٨، ص١٥٩.
١٢ - الشاهي: عملة
١٣ - كاسبارو بالبي، رحلة بالبي إلى العراق، ترجمة بطرس حداد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠٠٥، ص٥١
١٤ - Clark. E .W, Nippur or Explorations and Adventures on the Euphrates, Vol.1, Newyork, 1897,P. 159.
١٥ - سالنامة، ١٢٩٤هـ،
١٦ - سالنامة، ١٢٩٩هـ، دفعة ٣.
١٧ - سالنامة، ١٣٠١، دفعة ٥.
١٨ - عبد الرزاق الحسني، العراق قديما وحديثا، مطبعة العرفان، صيدا، ١٣٦٧هـ - ١٩٤٨م، ص٢٤١.
١٩ - من الملاحظ أن هناك تباين في الارتفاعات المسجلة على سطح الجزيرة وبحسب برنامج (Google Earth)، فالنقطة التي تقع عند راسي الجزيرة الغربي والشرقي ترتفع (٧٤م) فوق مستوى سطح البحر، في حين الارتفاع الذي يمكن تسجيلة في نقاط تقع وسط الجزيرة ومقداره (٨٢م).
٢٠ - Clark. E .W, Nippur or Explorations and Adventures on the Euphrates, Vol.1, Newyork, 1897,P. 159. وانظر أيضا: عباس العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين، ج٨، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ٢٠٠٤، ص١١٢.
٢١ - طارق نافع الحمداني، وجكمت رحماني، بغداد في الكتابات الخطية للاب انستاس ماري الكرملي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠١٥، ص١٧٥.
٢٢ -المرجع نفسه، ص١٧٦.

من المعروف أن الفيضانات التي أحدثها دجلة والفرات في التاريخ كثيرة، بل لا يحدها الحصر، ومع ذلك فالاشارات اليها في مصادرنا العربية قليلة، ومثال ذلك ما ذكره صاحب الحوادث الجامعة عن

الفيضانات المتكررة في المائة السابعة ومنها فيضان سنة ٦٥٢هـ حيث "زادت الفرات زيادة عظيمة، غرقت عنة والحديثة وهيت والفلوجة وانفجرت السدود الفراتية جميعها وغرقت الزروع" كما تعرض السواد وأنهاره الرئيسة الى غرق شامل في عام ٦٥٤هـ تضررت فيه الحواضر واتلفت بسببه الزروع . أنظر: الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، مطبعة الفرات، بغداد، ١٣٥١هـ، ص ٢٧٣و ص٣١٩. احمد سوسة، فيضانات بغداد في التاريخ، القسم الاول، مطبعة الاديب البغدادية، بغداد، ١٩٦٣، ص٣٣٣ وما بعدها.

٢٣ - ليونهارت راوولف، المصدر السابق، ص١٥٩.

٢٤ - كاسبارو بالبي، المصدر السابق، ص٥١

٢٥ - تختلف قياسات الاضلاع في القاعدة وأطولها الضلع الغربي الذي يربو على ٤.٢٠م.

٢٦ - فوزي رشيد، مقومات نظم الري في العراق القديم، ندوة الري عند العرب، مركز احياء التراث العلمي العربي، جامعة بغداد، ١٩٨٦، ص١٤٧.

٢٧ - ألوا موسيل، الفرات الأوسط رحلة وصفية ودراسات تاريخية، ترجمة صدقي حمدي وعبد اللطيف عبد الرحمن داود، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٤١١هـ/١٩٩٠م، ص

٢٨ - فوزي رشيد، المرجع السابق، ص١٤٧.

٢٩ - ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ، ج٥، ص٢٢٠.

٣٠ - - أنظر: كريم عجيل الجباوي، تاريخ وتراث مدينة جُبّة في محافظة الانبار،

٣١ - ماجد عبد الله الشمس، المطاحن والمعاصر في تراثنا العربي، الندوة القطرية الخامسة لتاريخ العلوم عند العرب، مركز احياء التراث العلمي العربي، جامعة بغداد، ١٩٨٩، ص٥٠١.

٣٢ - سعيد الديوه جي، تاريخ الموصل، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، ص٢٢٤.

٣٣ - ابن حوقل، صورة الارض، دار صادر ، بيروت، ١٩٣٨، ص٢١٩

٣٤ - عكبرا: يذكر ياقوت الحموي انها بليدة تقع شمال بغداد من نواحي دجيل، بينها وبين بغداد عشرة فراسخ، والنسبة اليها عكبريّ وعكرباويّ، وينسب اليهم كثر من العلماء منهم امام عصره الشيخ محب الدين ابو البقاء عبد الله بن الحسين النحوي العكبري (ت٦١٦هـ). أنظر: معجم البلدان، دار صادر، ط٢، بيروت، ١٩٩٥، ج٤، ص١٤٢.

٣٥ - ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والامم، ج١٥، تحقيق محمد عبد القادر عطا و مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٢ – ١٩٩٢، ص١٩١.

٣٦ - رشاد الخطيب الهيتي، هيت في اطارها القديم والحديث، ج١، مطبعة اسعد، بغداد، ١٣٨٦ -١٩٦٦، ص٣٠.

٣٧ - أنظر: كريم عجيل الجباوي، تاريخ وتراث مدينة جُبّة في محافظة الانبار، https://ar-ar.facebook.com